

﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: 24]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَرَى اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى ٱلْمُعْجِزَتَيْنِ (العصا واليد) فِي نَفْسِهِ وَفِيمَا يُلَاسِهَ وَهُوَ الْعَصَا، بَيْنَ سَبْحَانِهِ الْغُرُضُ مِنْ هَاتَيْنِ الْمُعْجِزَتَيْنِ، وَأَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، وَادْعِهِ إِلَىٰ عِبَادَتِي، وَحَذِّرْهُ نِقَمَتِي؛ كَوْنَهُ قَدْ جَاوَزَ الْحَدَّ فِي عَصِيَانِهِ وَتَمَرُّدِهِ بِقَوْلِهِ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى^(١)، وَخَصَّ فِرْعَوْنَ وَإِنْ كَانَ مَبْعُوثًا إِلَيْهِمْ كُلِّهِمْ؛ لِأَنَّهُ رَأْسُ الْكُفْرِ، وَمَدَّعِي الْإِلَهِيَّةِ، وَقَوْمُهُ تَبَاعَهُ^(٢).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(١) ﴿طَغَىٰ﴾: طَغَى طَغْيًا، وَطَغَا يَطْغُو طُغْوَانًا، وَأَطْغَاهُ الْمَالُ: حَمَلَهُ عَلَى الطَّغْيَانِ، فَجَعَلَهُ طَاغِيًّا، وَهُوَ تَجَاوَزَ الْحَدَّ وَالْقَدْرَ فِي الْعَصْيَانِ، وَغَلَا فِي الْكُفْرِ، وَكُلُّ مُجَاوِزٍ حَدَّهُ فِي الْعَصْيَانِ فَهُوَ طَاغٍ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٣)، وَاسْتُعِيرَ الطَّغْيَانُ لِلطُّوفَانِ؛ لَمَّا فِيهِ مِنْ تَجَاوُزِ الْمَاءِ لِلْحَدِّ، إِذَا ارْتَفَعَ وَعَلَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَاخْتَرَقَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۖ﴾^(٤) [الحاقة: ١١]^(٥)، وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَكُلُّ رَأْسٍ فِي الضَّلَالَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ﴾ [البقرة: 256]^(٥).

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

اذْهَبْ يَا مُوسَى إِلَىٰ فِرْعَوْنَ لِأَنَّهُ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْعَصْيَانِ

من رحمة
الله مواجهة
الطَّغْيَانِ
بالرَّسْلِ أَوْلَا

(١) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 270، وأبو حيان، البحر المحیط: 7/ 326، والهريري، الحقائق: 17/ 274.

(٢) أبو حيان، البحر المحیط: 7/ 326.

(٣) الجوهری، الصحاح، والزَّائِب، المفردات، والسَّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (طغى).

(٤) الزَّائِب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (طغى).

(٥) الزَّائِب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسَّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (طغى).

والكفر، وهكذا يرحم الله البشر ويسقط أعذارهم، ويطهر الحجة عليهم بالرسل.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

علة فصل قوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ عن سابقه:

قامت حجة الله تعالى على خلقه بالهداية، فلكل قوم هادٍ، ولكل هادٍ آية

فُصل قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ عن سابقه باعتباره استثناءً بيانياً، ناشئاً عن سؤال مقدر، فكأنه قيل: لماذا يُفعل بي هذا؟ فقيل: لنرسلك إلى بعض المهمات ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: لتردّه عن عتوه⁽¹⁾.

غرض الأمر في قوله: ﴿أَذْهَبَ﴾:

بعث الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين، لتقوم الحجة على العصاة والكافرين

الأمر في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ﴾ على حقيقته؛ لأنه صادرٌ من الأعلى إلى الأدنى على جهة الاستعلاء والإلزام، والذهابُ المأمور به ذهابٌ خاصٌّ، قد فهمه موسى ﷺ من مقدمات الإخبار باختياره، وإظهار المعجزات له، أو صرّح الله تعالى له به وطوى ذكره هنا على طريقة الإيجاز، على أن التعليل الواقع بعده يُنبئ به⁽²⁾.

معنى ﴿إِلَىٰ﴾ ودلالاتها في قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾:

ما أحلّم الله حتى بالطغاة! يخصّهم بالندارات، ولا يعاجلهم بالعقوبات

﴿إِلَىٰ﴾ حرف موضوع للدلالة على انتهاء الغاية، وهذا هو أصل معناه⁽³⁾، وقد يدخل المغيّاً في حده وقد لا يدخل، وهو يدلُّ على وجود مسافة مكانية، أو مدّة زمنية بين حدي الغاية: المبتدأ والمنتهى، وقد يصاحب هذه المسافة أو المدّة نوعٌ جهد، فقوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يدلُّ على انتهاء غاية الذهاب، ويعني ذلك أن موسى ﷺ أرسل إلى فرعون وملائه وقومه خصوصاً؛ لينذرهم ويحذّرهم، فتقوم حجة الله تعالى عليهم بإرسال الرسول.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 283 / 12.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 210 / 16.

(3) ابن يعيش، شرح الفضل: 463 / 4، والسامرائي، معاني النحو: 16 / 3.

نكتة تعدية الفعل بـ﴿إِلَى﴾ دون (اللام) في قوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾:

لَمَّا كَانَ الْأَصْلُ فِي مَعْنَى اللَّامِ الْاِخْتِصَاصُ، وَقَدْ تَرَدَّدَ لِمَعْنَى التَّلْغِيلِ، وَالْغَايَةِ، وَالْعَاقِبَةِ ... إلخ⁽¹⁾، وَكَانَ الْأَصْلُ فِي مَعْنَى (إِلَى) انْتِهَاءُ الْغَايَةِ زَمَانِيَّةً كَانَتْ، أَمْ مَكَانِيَّةً⁽²⁾، وَكَانَ الْغَرَضُ مِنْ إِرسَالِ مُوسَى ﷺ تَبْلِيغَ رِسَالَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَكَانَ مَكَانَ مُوسَى إِذْ ذَاكَ بَعِيدًا عَنْ مَكَانِ فِرْعَوْنَ، كَانَتْ تَعْدِيَةُ الْفِعْلِ ﴿أَذْهَبَ﴾ بـ﴿إِلَى﴾ دُونَ اللَّامِ أَنْسَبَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِتَأْدِيَةِ الْمَعْنَى الَّتِي أُريدَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ عِلَّةً لِلذَّهَابِ، أَوْ عَاقِبَةً لَهُ، وَلَا أَنْ يَكُونَ الذَّهَابُ مَخْصُوصًا لِفِرْعَوْنَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ صَرِيحًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ۝ قَوْمُ فِرْعَوْنَ﴾ [الشعراء: 10 - 11]، كَمَا أَنَّ الْأَمْرَ بِالذَّهَابِ فِي الْقُرْآنِ تَارَةً يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ، نَحْوُ: ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا﴾ [النمل: 28]، وَ: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ [يوسف: 93]، وَ: ﴿فَأَذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ [الشعراء: 15]، وَتَارَةً يَتَعَدَّى بِإِلَى، نَحْوُ: ﴿أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الفرقان: 36]، وَ: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ [طه: 43].

وَتَارَةً يَأْتِي لِأَزْمًا، نَحْوُ: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: 87]، وَ: ﴿فَأَذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: 97]، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَأْتِ مُتَعَدِّيًا بِاللَّامِ فِي الْقُرْآنِ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْعِلْمِ ﴿فِرْعَوْنَ﴾:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾؛ أَيِ: اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، الَّذِي خَرَجْتَ فَارًّا مِنْهُ وَهَارِبًا، فَادَعِهِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ⁽³⁾، فَفِي ذِكْرِهِ بِاسْمِهِ الْعِلْمُ تَعْيِينٌ لِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِ، وَتَبْيِينٌ لِحُدُودِ مِهْمَةِ الرَّسُولِ، وَكَشْفٌ لِأَعْيَاءِ التَّكْلِيفِ قَبْلَ الْبَدْءِ فِي تَنْفِيذِهِ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ

فِي الذَّهَابِ
مَعْنَى الْاِنْتِطَاقِ
وَالْمُضِيِّ، وَفِي
(إِلَى) تَحْدِيدَ
لِنَهَايَتِهِ، وَتَبْيِينَ
لِغَايَتِهِ

فِي ذِكْرِ اسْمِ
الْعِلْمِ تَعْيِينَ
وَتَبْيِينَ

(1) الزَّمَانِيّ، مَنَازِلُ الْحُرُوفِ، ص: 21، وَابْنُ يَعِيشَ، شَرْحُ الْفَصْلِ: 4/ 479، وَالْمَالِقِيُّ، رِصْفُ الْمُبَانِي، ص: 293.

(2) ابْنُ يَعِيشَ، شَرْحُ الْفَصْلِ: 4/ 463، وَالسَّامِرَاوِيُّ، مَعَانِي التَّحْوِ: 3/ 16.

(3) ابْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: 5/ 280.

اللَّهُ تعالى إلى فرعون أولاً؛ لأنَّ فرعون فعل فعلاً فظيماً، حيثُ ادَّعى الألوهية، وهي القمّة في الاعتداء، ثمَّ استعبد بني إسرائيل⁽¹⁾، فخصّه الله تعالى بالذكر لأنَّ قومه وملاه تبع له⁽²⁾، وهو يمثلهم⁽³⁾، فكان هو الأصل المبعوث إليه، وقومه تبع له، وهم كالمذكورين معه⁽⁴⁾.

علة فصل قوله: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ عن سابقه:

لا يحبُّ الله
السَّوءَ، ولا
يرضى لعباده
الكفر

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ عن سابقه كونه استئنافاً بيانياً ناشئاً عن سؤال مقدّر، فكانه قيل: وما علة الذهاب إلى فرعون؟ فيأتي الجواب: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾، فهذا تعليل للأمر أو لوجوب الأمور به؛ أي: جاوز الحدَّ في التَّكَبُّرِ والعتوّ والتَّجَبُّرِ، حتَّى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية⁽⁵⁾، وإنَّما صلحت الجملة للتعليل لأنَّ المراد ذهابٌ خاصٌّ، وهو إبلاغ ما أمر الله بإبلاغه إليه من تغييره عمّا هو عليه من عبادة غير الله⁽⁶⁾، وفيه كذلك تحذيرٌ لموسى ﷺ من بطش فرعون، وتنبيةٌ على صعوبة ما ابتلي به؛ ليتلقاه بجميل الصبر وحسن الثبات⁽⁷⁾.

بلغة توالي المؤكّدات في قوله: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾:

الله تعالى يُملي
للظّالم دون
أن يتركه، فإذا
أخذَه قصمه
وأهلكه

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ توكيدٌ بالحرف النَّاسِخ، وبالجملة الاسمية الدّالة على الثبوت، ووقوعها موقع التعليل للأمر بالذهاب، وقد حُسِّنَ مجيئه مؤكّداً؛ لأنَّ طغيان أحدٍ بالنسبة إلى شيء ممّا للملك الأعلى ممّا يُستبعد⁽⁸⁾، ولم يكن التوكيد مسوقاً؛ لأنَّ المخاطب كان شاكاً أو متردّداً - حاشاه - ولكن للتأكيد على طغيان فرعون، ولبيان أنَّ هذا الطغيان مستلزمٌ للذهاب إليه لتحذيره، ولإنهاء إفساده.

(1) السَّعْرَاوِي، تفسير السَّعْرَاوِي: 9256 / 15.

(2) الشَّوْكَانِي، فتح القدير: 429 / 3.

(3) الهلال، الثَّربِي الجامع: 72 / 7.

(4) الكرمانِي، أسرار التكرار، ص: 175.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 11 / 6، والآلوسي، روح المعاني: 495 / 8.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 210 / 16.

(7) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 430 / 6.

(8) البقاعي، نظم الدرر: 283 / 12.

بلادة الحذف بعدم ذكر صفة الذهاب وغايته:

في الآية محذوف مفهوم من السياق؛ لأنَّ المعنى: (اذهب إلى فرعون نذيرًا فادَّعُهُ إلى توحيد الله ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾)؛ فهو مأمور بالذهاب إليه، وأن يدعوه إلى التَّوْحِيد⁽¹⁾، ولم يذكر ما يدعوه إليه، اكتفاءً بوصفه الذي وصفه تعالى به: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾؛ أي: إنَّه تجاوز الحدَّ في طغيانه، وبلغ ذلك أن ادَّعى الربوبية!

براعة التَّخْلُص في قوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾:

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ تخلص إلى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السَّالفة، فُصِّلَ عَمَّا قَبْلَهُ مِنَ الْأَوَامِرِ إِذَا نَا بِأَصَالَتِهِ؛ أي: اذهب إليه بما رأيته من الآيات الكبرى، وادَّعُهُ إلى عبادتي وحذِّره نِقَمَتِي⁽²⁾.

❖ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الذهاب والانطلاق:

المعنى المحوري لجذر الذهاب: انتقال الشيء أو خلوص حيزه منه إلى حيز آخر، والذهاب من ذلك؛ لأنَّه انتقالٌ من مكانٍ إلى آخر⁽³⁾، أمَّا الانطلاق فيدور معناه حول الاندفاع بابتعاد⁽⁴⁾، وهو مشتقٌّ من الإِطْلَاق وهو ضدُّ التَّقييد؛ لأنَّ الدَّابَّةَ إِذَا حُلَّ عَقَالُهَا مَشَتْ، فَأَصْلُهُ مَطَاوَعٌ أَطْلَقَهُ⁽⁵⁾، والانطلاق: سرعةُ الذهاب في المحنة⁽⁶⁾؛ وفي هذا معنى الاندفاع الذي ذُكِرَ.

براعة الإيجاز من
دلائل الإعجاز

يخاطب
القرآن العقول
السليمة،
والفطرة
القويمة،
بأدلة صحيحة
مستقيمة

الانطلاق أخص
من الذهاب،
وهو انتقال
باندفاع

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 387/14.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 11/6، والآلوسي، روح المعاني: 495/8، والقاسمي، محاسن التأويل: 123/7.

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (ذهب).

(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (طلق).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 374/15.

(6) الخليل، العين: (طلق).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 31، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-73-0

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 31: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-73-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»